

الرسالة الحملية

البحر الزّاخر والدُّر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم
السيدُ محمدْ كاظمْ بنْ محمدْ قَاسِم الحسُينيّ الحائري الرشتي
أعلى اللّه مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري

محمد صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله

علي عليه السلام ولي الله

آدم عليه السلام صفوة الله

عيسى عليه السلام روح الله

نوح عليه السلام نبي الله

موسى عليه السلام كليم الله

ابراهيم عليه السلام خليل الله

طبع بأمر وإشراف
المرجع الأعظم آية الله المعظم خادم الشريعة الغراء
الحاج ميرزا عبد الرسول الأحقاقي
دام ظله العالي

إعداد
لجنة السيد الأمجد قدس سره
لإحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الإحسائي
أعلى الله مقامه



البحر الزّاخر والدُّر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم

السيدُ محمدْ كاظمْ بنْ محمدْ قاسمِ الحسينيّ الحائري الرشتي

أعلى اللّه مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري

محمد
صلى الله عليه وآله وسلم
حبيب الله

آدم
عليه السلام
صفوة الله

عيسى
عليه السلام
روح الله

علي
عليه السلام
ولي الله

نوح
عليه السلام
نبي الله

موسى
عليه السلام
كليم الله

ابراهيم
عليه السلام
خليل الله

طبع بأمر وإشراف

المرجع الأعظم آية الله المعظم خادم الشريعة الغراء

الحاج ميرزا عبد الرسول الأحقاقي

دام ظله العالي

إعداد

لجنة السيد الأمجد قدس سره

لإحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الإحسائي

أعلى الله مقامه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد الفاني الجاني كاظم بن قاسم الرشتي الحسيني أن بعض السادة الأجلاء الأذكياء العلماء أيده الله بصنوف الآلاء والنعماء بمحمد وآله سادة الأولياء عليهم سلام الله ما دامت الأرض والسماء قد التمس مني أن أملي جواب مسألة عميقة غامضة تاهت عندها العقول والأفهام وانحسرت دونها المدارك ، وإجابة مسألة له بل امتثال أمره وإن كانت علي واجبة لازمة إلا أن هذه المسألة مما أبى الله إلا سترها وكتمانها ولم يأذن بكشفها ورفع الحجاب عن وجه حقيقتها لأن من العلوم ما تحتمل ومنها ما لا تحتمل ومن الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل وما كلما يعلم يقال ولا كلما يقال حان وقته ولا كلما حان وقته حضر أهله لأن الطالب تتبع المدارك والمشاعر فكل مطلب من الأنواع الإضافية له مشعر خاص

لا يدرك إلا بذلك فمن طلبه عن غيره لم يجده ، كما أن من طلب إدراك الألوان بغير البصر بل بالسمع وطلب إدراك الأصوات بالبصر وغيرها من المشاعر الظاهرية دليل على اختلاف المشاعر الظاهرية والباطنية لأن الظاهر عنوان الباطن وقال مولانا الرضا عليه السلام ***(قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما ههنا)*** ، والناس لأجل المصالح الدقيقة والحكم الخفية خابت عن بعضهم بل أكثرهم أكثر المشاعر التي بها تدرك الأسرار وتطلع على نهايات الكنوز والأنوار فلا يمكنهم مع كونهم بتلك الحالة إدراكها وحل رموزها واستخراج كنوزها ، فيلجئون بالأفكار أن يتداركهم الله برحمته ويمن عليهم بتلك المدارك والمشاعر لسابق مشيئته ونافذ حكمته وإرادته وهذه الغيبوبة ليست لأمر جرى اضطراري لا صنع للمكلف فيها وهو أمر اختياري منشأها الأعمال المقتضية لها لأمور قد استحكمت قواعدها وشيدت أركانها في عالم الذر وما بعده من العوالم إلى أن ينتهي إلى هذه الدنيا يطول الكلام بذكر أسبابها وعللها ومقتضياتها وموانعها

وشرائطها ولوازمها ومكملاتها ومتمماتها وسائر أحوالها ، فلأجل هذا وأشباهه صارت الناس في معرض الإنكار إذا استمعوا ما لم تدركه أفهامهم ولم تعه قلوبهم ولم تفهمه أحلامهم كما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله الحق (***وَإِذْ لَمْ يَهْتَدوا بِهِ فَسَيَقولونَ هذا إِفْكٌ قَديم***)[1] وقوله تعالى (***بَلْ كَذبوا بِما لَمْ يحيطوا بِعِلْمِهِ وَلَما يأْتِهِمْ تَأويلُهُ***)[2] ، هذا كله إذا سلمت القلوب من الأمــراض الشيطانية والغايات الإبليسية التي فرعها الحسد والظلم والغشم وحب الرئاسات وأمثالها ، وأما عند عدم سلامتها عن تلك الرديئة فالأمر أعظم وأعظم وأعظم ، فلذا ترى أئمتنا مع كمال الرأفة والعطف على الرعية كتموا عنهم جل علومهم وزووا عنهم جميع أسرارهم وحقائق أنوارهم سلام الله عليهم وليس ذلك بخلافهم وإرادة سوء برعاياهم وأغنامهم حاشاهم عن ذلك ثم حاشاهم بل إنما فعلوا ذلك لطفا بهم وطمعا لترقيهم ولئلا ينكروا ليهلكوا حتى تطمئن نفوسهم وتتوسع صدورهم وتنضج طبائعهم وتتقوى غرائزهم فيفوزوا

(١) الأحقاف:١١ (٢) يونس:٣٩

بأعلى النصيب من المعلى والرقيب ، وأما إذا أعطوهم قبل الاستئهال فهم الذين قد سعوا في هلاكهم وإضلالهم وإفنائهم ، ولما علموا بعض المستأهلين بعض تلك السرائر والأسرار أمروهم بالكف والكتمان لئلا يستولي عليهم الشيطان ومتابعوه من أهل الحرمان والطغيان كما قال علي بن الحسين عليهما السلام (**لا تتكلم بما تسارع العقول إلى إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ، وليس كلما تسمعه نكرا أوسعته عذرا**).

وفي الكافي بإسناده عَنْ مُحَمَّد بْنِ عَجْلاَنَ قَالَ سَمِعْتُ أبا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَيَّرَ أَقْوَاماً فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذا ا جاءَهُم أمرمِنَ الأمنِ أَوِ الخوف أذاعوا بِهِ فإياكم وَالإِذاعَةَ) [1].

وفيه أيضا عَنْ مُحَمد الْخَزازِ عَنْ أبي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ (من أذاع علَيْنَا حَدِيثَنَا فَهُوَ بمنزلة مَنْ جَحَدَنَا حَقَّنَا قَالَ وَقَالَ لِمُعَلَّى بن خُنَيس الْمُذِيعُ حَدِيثَنَا كَالْجَاحِدِ لَه) [2].

وفيه أيضا عن ابن أبي يَعْفور قَالَ : قَالَ أبو عَبْدِ الله

(١)، (٢) الكافي ٢ / ٣٦٩

عليـه السـلام (من أذاع عَلَيْنَا حَـديثنَا سَلَبَـهُ اللّه الإيمان)[١] .

وفيـه أيضا عن يونس بن يعقوب عن بعض أصحابهعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ (مَا قَتَلَنَا من أذاع حَدِيثَنَا قَتْلَ خَطَأ وَلَكِنْ قَتَلَنَا قَتْلَ عَمْد)[٢] .

وفيه أيضا عن أبي عبدالله عليه السلام (من أذاع علينا شيئا من أمرنا فهو كمن قتلنا عمدا ولم يقتلنا خطأ)[٣] .

وفيـه أيضا عَنْ نَصْرِ بْنِ صَاعِدٍ مَوْلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أبا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ (مُذيع السر شَاكٌ وَقَائِلُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَافِرٌ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فَهُوَ نَاجٍ ، قُلْتُ مَا هي ، قَالَ التَّسْلِيم)[٤] .

وفيـه أيضـا عن أبي عبـدالله عليـه السـلام إلى أن قـال (والمذيع لِمَا أَرَادَ اللهُ سَتْرَهُ مَارِقٌ مِنَ الدِّين)[٥] .

وفيه أيضا عن عبدالرحمن بن حجاج عن أبي عبدالله عليه السلام قال (من استفتح نهاره بإذاعة سرنا سلط الله عليه حر الحديد وضيق المحابس)[٦] .

(١)، (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) الكافي ٢ / ٣٦٩

وأمثال ذلك من الروايات كثيرة ، فإذاً كيف يجوز لمن انتحل محبتهم وعرف بعض أسرارهم برأفتهم ورحمتهم أن يدخل في عقوقهم بإذاعة سرهم وكشف سترهم ، لا يكون ذلك أبدا للراسخ في محبتهم والمستغرق في موردهم ، وقد قال الشاعر ونعم ما قال :

ومستخبر عن سر ليلى أجبته
بعمياء من ليلى بلا تعيين
يقولون خبرنا وأنت أمينها
وما أنا إن خبرتهم بأمين

وكيف يجوز هتك سترهم وإذاعة سرهم لا سيما في هذا الزمان وهذا الأوان الذي قد مد الجور باعه وأسفر الظلم قناعه ودعى الغي أتباعه فلبوه من كل جانب ومكان ، ولكن لما كان لكل سؤال جواب ولكل لسان خطاب وكان السائل أطال الله بقاءه وأجزل عليه نواله وعطاءه من أهل الإجابة والبيان فلا يسعني إلا الكلام فيه على مقتضى المقام ، واضعا لكل شيء موضعه لئلا أكون ظالما للحكمة ومضيعا لها ، فنشير بالتلويح في ضمن التصريح وأقتصر على الإشارة في طي ظاهر العبارة ، وأكتفي

بمختصر المقال في شرح تلك الأحوال لئلا يؤدي إلى ذكر ما لا ينبغي ذكره ولما أنا به من ضعف البال وتبلبل الحال وعروض الأمراض المانعة من استقامة الحال ، وقد أحببت أن تأتيني هذه المسألة في غير تلك الحالة لأؤدي بعض حقها من التحقيق وأرشد المتحير إلى سواء الطريق ، ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور ، وجعلت كلامه سلمه الله متنا وجوابي كالشرح كما هو عادتي في أجوبة المسائل .

قال سلمه الله تعالى : سيدي وأستاذي ومن عليه في العلوم اعتمادي وفي كشف المعضلات استنادي ، أرجو من طيب أنفاسكم الهاشمية ، وأؤمل من هممكم العلية أن تتعطفوا على عبيدكم ومن كان منكم بكشف أسرار تختلج في الخاطر فلا أجد إلى بثها سبيلا إلا إليكم ، إلى أن قال سلمه الله تعالى : فمنها ما ورد في الأخبار والزيارات وغيرها ما يشير إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام هو باطن الأنبياء وأنه ظهر بتلك الصورة لهم على الحقيقة غير أنه يعتريه تغير في صورته لحكمة الإلهية قضت بذلك؟

أقول : الظاهر أن مراده سلمه الله من الأخبار ما رواه في البحار في بيان معرفته عليه السلام بالنورانية في حديث طويل إلى أن قال عليه السلام (***يا سلمان ويا جندب ، قالا : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي ، وأيدت بروح العظمة ، وأنا تكلمت على لسان عيسى بن مريم في المهد ، وأنا آدم وأنا نوح وأنا إبراهيم وأنا موسى وأنا عيسى وأنا محمد صلى الله عليه وآله وعليهم أتنقل في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني ، ولو ظهرت للناس في صورة واحدة لهلك فيّ الناس وقالوا هو لا يزال ولا يتغير ، وإنما أنا عبد من عباد الله لا تسمونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر ، لأنا آيات الله ودلائله وحجج الله وخلفاؤه وأمناؤه وأئمته ووجه الله وعين الله ولسان الله بنا يعذب الله عباده وبنا يثيب ، ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا ، ولو قال شخص لم أو كيف وفيم لكفر وأشرك لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، يا سلمان ويا جندب ، قالا : لبيك يا أمير***

المؤمنين ، قال عليه السلام : من آمن بما قلت وصدق بما بينت وفسرت وشرحت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ ، وكل من شك وعند وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مقصر وناصب) .

وما في خطبة البيان من قوله عليه السلام (أنا ذو القرنين المذكور في الصحف وأنا الذي تفجر منه اثنتا عشرة عينا من الحجر) .

وقوله عليه السلام (أنا آدم الأول أنا نوح الأول أنا إبراهيم الخليل حين ألقي في النار وأنا موسى مؤنس المؤمنين أنا فتاح الأسباب) الخطبة .

وفي حديث المفضل بن عمر الجعفي الذي رواه المجلسي في أغلب كتبه وغيره من علمائنا رضوان الله عليهم في كتبهم في الغيبة والرجعة ، وهذا الحديث تلقاه بالقبول علماؤنا الفحول من أهل المعقول والمنقول ليس له راد إلا من أنكر الرجعة وهم شرذمة قليلة لا يعبأ بهم وبردهم ، وفيه إلى أن قال أبو عبد الله (وسيدنا القائم مسند ظهره على الكعبة ويقول : يا معشر الناسألا و من أراد أن

ينظر إلى آدم و شيث فها أنا ذا آدم وشيث ألا و من أراد أن إلى نوح وولده سام فها أنا ذا نوح وسام ألا و من أراد أن ينظر إلى ابراهيم واسماعيل فها أنا ذا إبراهيم و إسماعيل ألا و من أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع فها أنا ذا موسى ويوشع ألا و من أراد أن ينظر إلى عيسى و شمعون فها أنا ذا عيسى وشمعون ألا و من أراد أن ينظر إلى محمد و أمير المؤمنين صلوات الله عليهما فها أنا ذا محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ألا و من أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام فها أنا ذا الحسن والحسين ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام فها أنا ذا الأئمة عليهم السلام أجيبوا إلى مسألتي فإني أنبئكم بما نبئتم به .)[1] الحديث .

وأما الزيارات المشار إليها فمنها ما في البحار وكتاب المزار في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المروية عن أبي عبد الله عليه السلام وهي مشهورة معروفة صارت الآن من ضروريات مذهب الشيعة ومنها **(السلام على أخي**

(١) البحار ٥٣ / ٩

رسول الله وابن عمه وزوج ابنته والمخلوق من طينته السلام القديم والفرع الكريم السلام على الثمر الجني السلام على أبو الحسن علي السلام على شجرة طوبى وسدرة المنتهى السلام على آدم صفوة الله ونوح نبي الله وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله ومن بينهم من الصديقين والنبيين وَالشُّهَداءِ وَالصالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً السلام على نور الأنوار وسليل الأطهار وعناصر الأخيار السلام على والد الأئمة الأطهار السلام على حبل الله المتين وجنبه المكين ورحمة الله وبركاته السلام .)[1] الزيارة .

وهذا بعض ما وقفنا عليه من الأخبار والزيارات مما يدل على المراد .

قال سلمه الله : ومع قطع النظر عما يشير إلى ذلك من الخصوصيات يدل عليه قولهم عليهم السلام (***اجعلوا لنا ربا نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم***) ويشير إلى ذلك أيضا كلما ورد عنهم عليهم السلام بأن بعض الأسرار لو كشفت لكفر بعض الناس كما في الأبيات المنسوبة إلى

(١) البحار ٩٧ / ٣٠٥

علي بن الحسين وغيرها ، وربما كان السر أدنى ما أراد من تلك الكلمات الواردة في هذا المضمون .

أقول : عموم قولهم عليهم السلام (***اجعلوا لنا ربا نؤوب إليه***) في عدة أحاديث بعدة ألفاظ منها ما ذكره أيده الله تعالى ومنها ما ذكرنا في حديث معرفته بالنورانية في قوله عليه السلام (***لا تسمونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر***) .

ومنها ما في قول الحجة عليه السلام (***نزلونا عن الربوبية وقولوا في حقنا ما شئتم ولن تبلغوا***) وكذا في غيرها من العبارات ، ووجه الاستدلال أن كلمة (ما) للعموم فيجوز أن تثبت لهم كل كمال ما عدا الربوبية فإنها صفة لا ينالها أحد ممن جرى عليه قلم الإمكان وسبح في لجة الكون والمكان ، والدعوى المقررة في أحاديثهم المسطورة تدخل فيما نشاء وليس فيها ادعاء الربوبية لهم عليهم السلام فيجب أن تكون تلك الدعوى ثابتة فيهم وهي أدنى ما يختصون به من فضائلهم ، والقول بأن الإجماع غير مسموعه كما يأتي بيانه

ويوضح برهانه ، وكذلك يدل على عموم قوله عليه السلام كما في الزيارة الجامعة (**إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه وميراث النبوة عندكم وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم**)[1] الزيارة .

وقوله سلمه الله تعالى (ما ورد عنهم عليهم السلام بأن بعض الأسرار ..إلخ) يريد به ما ورد في الكافي **عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ ذَكَرْتُ التَّقِيَّةَ يَوْماً عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فَقَالَ (وَاللهِ لَوْ عَلِمَ أَبو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ وَلَقَدْ آخَى رَسُولُ اللهِ ص بَيْنَهُمَا فَمَا ظَنُّكُمْ بِسَائِرِ الْخَلْقِ إِنَّ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لاَ يَحْتَمِلُهُ إِلاَّ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلأِيمَانِ فَقَالَ وَإِنَّمَا صَارَ سَلْمَانُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لأَنَّهُ امْرُؤٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلِذَلِكَ نَسَبْتُهُ إِلَى الْعُلَمَاءِ**)[2] .

وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام (**بل اندمجت**

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة (٢) الكافي ١ / ٤٠١

على مكنون عليم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة) [١] .

وقوله عليه السلام (***إن ههنا علما جما لو أصبت له حملة)*** [٢] وأشار إلى صدره الشريف .

وقال عليه السلام في الأبيات المنسوبة إليه عليه السلام :

وإن في النفس لبانات   إذا ضاق لها صدري
نكت الأرض بالكف   وأبديت لها سري
فمهما تنبت الأرض   فذاك النبت من بذري

وقوله عليه السلام في الخطبة الطتنجية (***ألا فعوا ولا تضجوا ولا ترتجوا فلولا خوفي عليكم أن تقولوا جن أو ارتد لأخبرتكم بما كان وما أنتم فيه وما تلقونه إلى يوم القيامة)*** .

وقوله في الأبيات المنسوبة إلى علي بن الحسين عليهما السلام يريد به قوله عليه السلام :

إني لأكتم من علمي جواهره
كيلا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا

(١) البحار ٣٥ / ٤   (٢) البحار ٤ / ١٥١

وقد تقدم في هذا أبو حسن
إلى الحسين وأوصى به الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به
لقيل أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي
يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقوله أيده الله وربما كان هذا السر أدنى ما أراد به من تلك الكلمات الواردة عنهم في هذا المضمون ، اعلم أنا إنما نعرف كل من رتبته رتبة الرعية بأعلى ما عندهم من الإدراك ومبلغ طاعتهم من العلوم لا يبلغ جزء مكن مائة ألف جزء من رأس الشعيرة مما أرادوا عليهم السلام من كلماتهم وأحاديثهم وخطبهم وإشاراتهم وتلويحاتهم وتصريحاتهم لأن المرء مخبوء تحت لسانه والكلام على قدر عقل المتكلم ، وعقلهم هو العقل الكلي الأول الذي هو أول ما خلقه الله واختاره واصطفاه ، والكائنات قد أوجدها سبحانه بإقباله وإدباره .

ومما يوحي إلى ما ذكرناه ما رواه الكليني ***في الكافي ما معناه أنه سئل أبو عبدالله عليه السلام عما ورد عن***

أمير المؤمنين عليه السلام قال عَنْ يُونُس بْن رِيَاط قَالَ (دَخَلْتُ أنَا وَكَامِلٌ التمار عَلَى أبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ لَهُ كَامِلٌ جُعِلْتُ فِدَاكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ فلانٌ فَقَالَ اذكرْهُ فَقَالَ حَدَّثَنِي أنَّ النبي صلى الله عليه وآله حَدث علياً عليه السلام بِألْف بَاب يَوْمَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله كُلُّ بَاب يَفتَحُ ألْفَ بَاب فَذَلِكَ ألْفُ ألْف بَاب فَقَالَ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ قُلْتُ جُعِلْتُ فداك فَظَهَرَ ذلك لِشِيعَتِكُمْ وَمَوَالِيكُمْ فَقَالَ يا كَامِل لا فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِداكَ فَمَا يُرْوَى مِنْ فَضْلِكُمْ مِنْ ألْف ألف بَاب إلاَّ قَالَ فَقَالَ وَمَا عَسَيْتُمْ أنْ تَرْوُوا مِنْ فَضْلِنَا مَا تَرْوُونَ مِنْ فَضْلِنَا إلاَّ ألْفاً غَيْرَ مَعْطُوفَة)[1]

ولقد جمع كل ما أردنا أن نقول آية من كتاب الله وهي قوله تعالى (وَإنْ تَعدوا نِعْمَتَ اللَّه لا تحْصوها)[2] والنعمة هي الإمام عليه السلام ويزيدها توضيحا قوله تعالى (وَلَوْ أنَّ ما في الأرْضِ مِنْ شَجَرَة أقْلام وَالبَحْر يَمده مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَة أبْحرٍ ما نَفِدَتْ كَلِمات اللَّه)[3] فعن الكاظم عليه السلام قال (نحن الكلمات التي لا تدرك

(١) االكافي ١ / ٢٩٧ (٢)إبراهيم ٤٣ (٣) لقمان ٢٧

فضائلها ولا تستقصى)[1] وهذا معلوم وظاهر إنشاء الله لا يحتاج إلى البيان غني عن إقامة البينة والبرهان لمن آمن بهم واعتقد إمامتهم صلى الله عليهم، هذا ما يتعلق بالسؤال وظاهر كلماته وعباراته أيده الله بصنوف تأييداته.

وأما حقيقة البيان في الجواب على ما يمكن بيانه ولا يعسر برهانه فاعلم أن حديث آل محمد صلى الله عليه وعليهم صعب مستصعب خشن مخشوش ليس مشرعة لكل خائض ولا منهلا لكل وارد خصوصا أمثال هذه المقامات، إذ لا ينبغي للمؤمن الممتحن أن يقتصر على ظاهر العبارات ولا على ما يستنبطه من المفهومات والمدلولات مما يعطيه النظر في ظاهر اللغات فإن هذا المقام مقام دقيق بل هو بحر عميق كم من سفينة غرقت فيه وكم من سابح هلك ولم يصل إلى ساحله، فقد روى الكليني رضوان الله عليه بإسناده عن عبد الله بن مسكان عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير قالا: قال أبو عبد الله **(عَنْ صَفْوَانَ بن يَحْيىَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ**

(١) البحار ٤ / ١٥١

مُسْكَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ وَأَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أبو عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَا أبا محمد إِنَّ عِنْدَنَا وَاللهِ سِرّاً مِنْ سِرِّ اللهِ وَعِلْماً مِنْ عِلْمِ اللهِ وَاللهِ مَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌ مُرْسَلٌ وَلاَ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلأيمَانِ وَاللهِ مَا كَلَّفَ اللهُ ذلكَ أحَداً غَيْرَنَا وَلاَ اسْتَعْبَدَ بِذَلِكَ أَحَداً غَيْرَنَا وَإِنَّ عِنْدَنَا سرا مِنْ سِرِّ اللهِ وَعِلْما مِنْ عِلْمِ اللَّهِ أَمَرَنَا اللَّهُ بتبليغه فَبَلَّغْنَا عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَمَرَنَا بتبليغه فَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَوْضِعاً وَلاَ أَهْلاً وَلاَ حَمَّالَةً يَحْتَمِلُونَهُ حَتَّى خَلَقَ اللهُ لِذَلِكَ أَقْوَاماً خُلِقُوا مِنْ طِينَةٍ خَلَقَ مِنْهَا مُحَمَّداً وَآلَهُ وَذريتَهُ عليهم السلام وَمِنْ نورٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ مُحَمَّداً وَذرِيَّتَهُ وَصَنَعَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الَّتِي صَنَعَ مِنْهَا مُحَمدا وَذرِّيتَهُ فَبَلَّغْنَا عن اللهِ مَا أمَرَنَا بتبليغه فَقَبِلُوهُ وَاحْتَمَلُوا ذلك فَبَلَغَهُمْ ذلك عَنَّا فَقَبِلُوهُ وَ احْتَمَلُوهُ وَ بَلَغَهُمْ ذِكْرُنَا فَمَالَتْ قلوبُهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِنَا وَ حَدِيثِنَا فَلَوْلاَ أنهُمْ خُلِقُوا مِنْ هَذَا لَمَا كَانُوا كَذَلِكَ لاَ وَاللهِ مَا احْتَمَلوهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَقْوَاماً لِجَهَنَّمَ وَالنَّارِ فَأمَرَنَا أَنْ نُبَلِّغَهُمْ كَمَا بَلَّغْنَاهُمْ وَاشْمَأَزُّوا مِنْ ذلكَ وَ نَفَرَتْ قلوبُهُمْ وَ رَدُّوهُ عَلَيْنَا وَ لَمْ يَحْتَمِلُوهُ وَكَذبوا بِهِ وَ

قَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَنْسَاهُمْ ذلك ثُمَّ أَطْلَقَ اللهُ لِسَانَهُمْ بِبعض الْحَقِّ فَهُمْ يَنْطِقُونَ بِهِ وَقلوبهم مُنْكِرَةٌ لِيَكُونَ ذلك دَفعاً عَنْ أَوْلِيَائِه وَأَهْل طَاعَتِهِ وَلَوْلا ذَلِكَ مَا عُبِدَ اللهُ فِي أَرْضِهِ فَأَمَرَنَا بِالْكَفِّ عَنْهُمْ والستر وَالْكِتْمَانِ فَاكْتُمُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَاسْتُرُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالسَّتْرِ وَالْكِتْمَانِ عَنْهُ قَالَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَبَكَى وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ فَاجْعَلْ مَحْيَانَا مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتَنَا مَمَاتَهُمْ وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً لَكَ فَتُفْجِعَنَا بِهِمْ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْجَعْتَنَا بِهِمْ لَمْ تُعْبَدْ أبدا فِي أَرْضِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً .)[(١)] انتهى الحديث .

فجاء هذا الحديث بيانا لمتشتتات الأخبار وجامعا لمتفرقات الآثار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم سلام الله الملك الجبار بشرط أن لا تقتصر على ظاهر العبارات فتحجب عن إدراك المعاني والأسرار بمغلظات الحجب والأستار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار وهو قول النبي المختار صلى الله عليه وآله (رحم الله عبدا سمع مقالتي

(١)الكافي ١ / ٤٠٣

فوعاها وحفظها فبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) فإذا فهمت ما ذكرنا فتوجه بفهمك والتفت بصافي سريرتك إلى ما يتلى عليك من السر الحق والكبريت الأحمر لكنا قد أجرينا الكلام على ظاهر العبارة بخفي الإشارة ليعلم كل أناس مشربهم ولينال كل أحد مطلبهم .

فنقول إذا قيل فلان مثلا كذا وكذا ، أي يؤتى بقضية حملية فلا ريب أن فيه تغاير واتحاد في جهة من الجهات الجامعة ، أما التغاير فلما كان الحمل المقتضي للنسبة المقتضية للمغايرة ، ولذا قالوا أن القضية لا بد فيها من أربع تصورات تصور الموضوع وتصور المحمول وتصور النسبة الحكمية وتصور الحكم ثم الحكم ، وإن اختلفوا في أن هذه الأربعة أجزاء للقضية وشرائطها فلو اتحدت امتنع التعدد .

أما قولهم في حمل الشيء على نفسه فلا بد فيه من المغايرة في المفهوم ولو بجهة من جهات الاعتبارات وإلا لما صح الحمل بالضرورة وهو معلوم واضح ، وأما الاتحاد فلمكان الصدق والاجتماع فإن المختلفين من جهة

الاختلاف متباينان ولا يتفارقان من حيث هما كذلك، ففرض الاجتماع مع فرض التباين والتضاد من جهة واحدة مصادمة للضرورة ومزاحمة للبديهة، والحمل بدون هاتين الجهتين المتضادتين اللتين هما جهة المغايرة والاختلاف وجهة الوحدة والائتلاف مما لا يمكن وقوعه ولا فرضه، أما المغايرة فمعلومة وتعلم أيضا بالمقابلة، وأما الاتحاد فقد يكون جنسيا أو نوعيا وقد يكون صنفيا وقد يكون شخصيا وقد يكون صوريا وقد يكون إشراقيا وقد يكون فعليا وقد يكون وصفيا، وبكل جهة من هذه الجهات يصح الحمل مع المغايرة المقابلة ويصح المعنى، وأما الخمسة الأولى فعلى ضربين أحدهما ملاحظة الأفراد المتحصلة من الحدود المشخصة وحمل بعضها على بعضها لأجل الجهة الجامعة التي هي تلك الخمسة، وثانيهما حملها على الأفراد باعتبار ظهورها فيها وتخصصها لديها إلا أن الحمل قد يقل ويكثر باعتبار ظهور الجهة الجامعة وخفائها فيقل الحمل في القسم الأول منها لعدم ظهور الاتحاد والجهة الجامعة ويكثر في القسم الثاني لظهورها إلا أن أهل الحقيقة والأسرار ربما يجري كلامهم

على القسم الأول تنبيها للمراد ، من هذه الجهة ندر قولهم الإنسان حجر مثلا للجهة الجامعة وهي الجسمية لأجل الاتحاد في الجنس البعيد وقولهم زيد عمرو للجهة الجامعة وهي الإنسانية لأجل الاتحاد في النوع القريب ، وكلما كان من هذا القسم يصح العكس فلك أن تقول عمرو زيد في الرتبة الإنسانية التي هي إحدى مراتبها وتقول عمرو زيد لأجل ذلك ، وتقول الإنسان حجر في الجسمية والحجر إنسان فيها أيضا ولا يختلف المعنى أبدا ، والمراد من هذا إثبات اتحادهما واجتماعهما وتصادقهما في مرتبة من مراتب وجود أحدهما ولا يلزم من كل الجهات ولا جلها ولا أغلبها ، أما الأولى فلرفع النسبة المستدعية لبطلان الحمل كما ذكرنا ، وأما الثانية والثالثة فلعدم اعتبارهما في مفهوم الحمل بحال من الأحوال وذلك معلوم واضح إنشاء الله .

وأما القسم الثاني فكما تقول في الأول الإنسان جسم وزيد حيوان فتغايرا بالبساطة والتركيب واتحدا في الجزء فإن الإنسان ليس بحيوان من حيث النطق ومن حيث العلم وغيرها من الجهات الذاتية والعرضية ، وفي

الثاني الإنسان حيوان أو زيد إنسان ، وفي الثالث الإنسان نور والشيطان ظلمة وزيد حبشي وعمرو زنجي ، وفي الرابع الجدار لبنة والسرير خشبة والخاتم فضة إطلاق أحد عليه شيء من مقصودنا ، ولك أن تعكس الأمر في هذه المسألة فتجعل الموضوع محمولا والمحمول موضوعا بشرط إرادة الحصر لتحقق شرائط الأمر في التغاير والاتحاد وإن ضعف اتحاد الاعتبار لأجل الاطراد ، ولذا صح للإنسان أن يقول أنا زيد وعمرو وبكر وخالد ... إلخ ، ولزيد أن يقول أنا إنسان من غير اعتبار الحدود الشخصية ، أو يقول الخشبة أنا سرير وأنا صنم وباب وضريح وعمود وصندوق وغيرها مما يتشعب منها من دون اعتبار تلك الخصوصيات إذ باعتبارها كذب الحمل لعدم الجهة الجامعة والرتبة الواحدة ، وأما الاتحاد الشخصي فكما تقول الإنسان حيوان ناطق وزيد إنسان مع التشخص الخامس وأمثالهما فاجتمع الموضوع والمحمول في الحقيقة الشخصية واختلفا وتغايرا بالإجمال والتفصيل .

وأما الحمل الإشراقي فكما تقول زيد قائم عمرو

ضارب فإن القيام أثر فعلي لزيد أحدثه بفعله ، وقد دلت الأدلة العقلية والنقلية على أن الأثر لا يتحد مع المؤثر في شيء من أطوار ذاته وحقيقته وإلا لزم تغير الذات بأثرها وانفعال العلة من معلولها وهو في البطلان بمكان فلا يصح أن يكون القيام عين ذات زيد أو في مرتبة من مراتبها بوجه من الوجوه ، وقد ثبت عند كل عاقل أن القيام مشتق من قام والمشتق فرع للمبدأ ووجوده متأخر عن وجود المبدأ ولذا قالوا كما صرح العلامة في تهذيب الأصول أن الاقتطاع فرع من أصل وقد أجمعوا أن اسم الفاعل مشتق إما من المصدر أو من الفعل فيكون فرعا لهما في مقام الألفاظ وكلما هو كذلك في مقام الألفاظ فرع في مقام المعاني لما ثبت عندنا بالدليل القطعي من العقلي والنقلي من أن بين الألفاظ والمعاني مناسبة ذاتية وصفات الألفاظ من الرفع والنصب والجر والجزم والسكون والإعراب والبناء والعاملية والمعمولية والفرعية والأصلية والاشتقاق والجمود وغيرها من سائر عوارضها وأحوالها كلها حاكية عن صفات المعاني في أطوارها وأحوالها وقد أفردنا في ذلك مسألة على حدة

ومن أراد التحقيق وكشف الواقع والجواب عن جميع الشبهات الواردة فليراجع ثمة، فإذن لا يصح أن يكون القائم من الصفة الذاتية بأن يكون اعتبار القيام والقائمية في الذات ومن غير هذا الاعتبار إنما يصير في الذات منشأ انقلاب الذات أثرا والأثر ذاتا فهو إذن إشراق وتجلي عن زيد صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له، ولكن هذا الإشراق مثال وحكاية من فعل زيد ألقاه في هوية القيام ليعرف زيد به وذلك المثال هو الذات المعتبرة في المشتقات كلها، وشرح هذا الكلام مما يطول به المقام وإن كان ذلك من مزال الأقدام ولا بد من الاعتناء بشرحه وتفصيله ولكنا قد شرحنا هذا المعنى في كثير من مباحثاتنا ورسائلنا وأجوبتنا للمسائل حتى صار الأمر في ذلك من المعلومات لكل من حضر عندنا وسمع منا.

وبالجملة نسبة اتصاف زيد بالقائم نسبة اتصاف الصورة المرئية في المرآة فإنها دليل زيد وصفته ويحمل عليه بالاشتقاق أو بالتواطؤ على ضرب من التقريب إلا أن الموضوع ليس هو حقيقة الذات والجهة الجامعة،

ورتبة الاتحاد ليست في الذات وإنما هي في مقام الظهور والأثر والإشراق والفعل الظاهر بالمفعول ، ومن هذا القبيل قولك أن الله خالق ورازق ومحيي ومميت فإن الإمامية قد أجمعوا على أن هذه الصفات صفات فعل وقد علم بالضرورة أن الفعل غير الذات ولا متحدا معها في رتبتها إلا على مذهب الصوفية القائلين بوحدة الوجود وأن الفعل والمفعول والذات عندهم واحدة في الحقيقة ومتغايرة في الأعيان كما صرحوا في كلماتهم وعباراتهم، وحيث بطل هذا المذهب السخيف الباطل فلا يبق إلا القول بأن الفعل غير حقيقة الذات ولا يجتمع معها أبدا ، واسم الفاعل اسم ليس عين الذات وإنما هو إشراق وصفة استدلال وآية وهي الذات الظاهر ووجهة الاتحاد في مقام التجلي والإشراق والفعل لا مقام الذات البحت ، فالقائم إشراق زيد وتجليه واسمه ورسمه ولكن الإشراق والتجلي لاضمحلالها في غيب الذات إذا ذكر الاسم الفاعل يلتفت إلى الذات وإلا فلا اتحاد ولا جهة جامعة فافهم وأتقن وأجر هذا الحكم في جميع الأسماء الفعلية مع اتصاف الذات بها .

فإذا قلت أن الخالق من أسماء الأفعال فمعناه أنه اسم وصفة للفعل فيكون المسمى والموصوف هو الفعل فيجب أن يقال أن الفعل هو الخالق والرازق مع أنه لا يمكن ولا يقال إنما يقال الله هو الخالق الرازق والسر فيه ما ذكرنا .

أما الحمل الفعلي فأن تكون المغايرة والاتحاد في الفعل بمعنى أن فعل المحمول والموضوع واحد كما تقول أن الوزير مثلا كالسلطان ، وهذا الحمل ليس في الذات وإنما هو في مقام الفعل ، أي فعل الوزير فعل السلطان وحكمه حكمه وأمره أمره فالاتحاد في الفعل دون الذات فإنه في الإمكان محال ، وهذا الحمل شائع كثيرا في أحاديثهم وكلماتهم صلوات الله عليهم وقد شرح هذا المعنى مولانا الصادق وأبوه عليهما السلام بما لا مزيد عليه في حديثين رواهما ثقة الإسلام *في الكافي عَنْ مُحَمَّدِ بن إِسْمَاعِيلَ بن بَزِيعٍ عَنْ عَمِّهِ حَمْزَةَ بن بَزِيعٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فَقَالَ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَأْسَفُ كَأَسَفِنَا وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسَفُونَ وَيَرْضَوْنَ وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِهِ وَسَخَطَهُمْ*

سَخَطَ نَفسِه لأنه جَعَلَهُمُ الدُّعَاةَ إِلَيْهِ وَالأَدلاَّءَ عَلَيْهِ فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ وَلَيس أَنَّ ذلكَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلقِهِ لَكِنْ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ مَنْ أَهَانَ لي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ وَدَعَانِي إِلَيْهَا وَ قَالَ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أطاعَ اللَّهَ وَقَالَ (إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فوق أَيدِيهِم) فَكُلُّ هَذَا وَشِبْهُهُ عَلَى مَا ذكرْتُ لَكَ وَهَكَذَا الرِّضَا وَالغضَبُ وَ غَيْرُهُمَا مِنَ الأَشْيَاءِ مِمَّا يُشَاكِلُ ذلكَ وَلَوْ كَانَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ الأَسَفُ وَالضَّجَرُ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَأَنْشَأَهُمَا لَجَازَ لِقَائِلِ هَذَا أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْخَالِقَ يَبِيدُ يَوْماً مَا لأَنَّهُ إِذا دَخَلَهُ الْغَضَبُ وَالضَّجَرُ دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ وَإِذَا دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ لَمْ يُؤمَنْ عَلَيْهِ الإِبَادَةُ ثُمَّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُكَوِّنُ مِنَ الْمُكَوَّنِ وَلاَ الْقَادِرُ مِنَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَلاَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا القَوْلِ عُلُوّاً كَبِيرا بَلْ هُوَ الْخَالِقُ لِلأَشْيَاءِ لاَ لِحَاجَةٍ فَإِذا كَانَ لاَ لِحَاجَةٍ اسْتَحَالَ الْحَدُّ وَ الْكَيْفُ فيه فَافهَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)[1].

وثانيهما ما رواه عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أبي جَعْفَرٍ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا ظَلَمُونا وَلكِن كانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ

(١) الكافي ١ / ١٤٣

أَنْ يُظْلَمَ وَلَكِنَّهُ خلطنا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظُلْمَنَا ظُلْمَهُ وَوَلَايَتَنَا وَلَايَتَهُ حَيثُ يَقُولُ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِي الأَئِمَّةَ مِنَّا ثُمَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ)[1] .

وما ذكرنا وما تضمن هذان الحديثان الشريفان سهل لك كثيرا من الروايات والأدعية والزيارات مثل قول الحجة عجل الله فرجه وعليه السلام في كل يوم من شهر رجب (**لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك**)[2] فجهة عدم الفرق الذي هو جهة الاتحاد هي في مقام الفعل لا الذات ، فالمغايرة في الذات والاتحاد في الفعل وهو قوله تعالى (**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**) وقوله تعالى (**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ**)[3] وقوله تعالى (**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ**)[4] وأمثالها من الآيات ، ومثل قوله عليه السلام في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام على ما رواه المجلسي في البحار وتحفة الزائر وغيره في غيرهما (**السلام على نفس الله**

---

(١) الكافي ١ / ١٤٣ / ١١ (٢) دعاء مولانا الحجة عليه السلام في رجب
(٣) الأنفال ١٧ (٤) التوبة ١٤

تعالى القائمة فيه بالسنن)[1] ، فإذا قلت علي نفس الله فالحمل هنا فعلي إذ الاتحاد في الفعل والمغايرة في الذات فإن عليا عليه السلام أثر من آثار الله وخلق من مخلوقاته ، والله سبحانه وتعالى منزه عنه وعن أحواله وصفاته إذ لا يوصف تعالى بصفات المخلوقين ولا يشبّه بصفات المربوبين ، ولكنه عليه السلام حين أمات نفسه في طاعته وأفنى ذاته في عبادته وأعدم إرادته في إرادته فشرفه الله وكرمه وقرنه بنفسه وإن كان سبحانه منزها عن الاقتران في ذاته ، فجعل قوله قوله وفعله فعله وأمره أمره ونهيه نهيه وطاعته طاعته ومعصيته معصيته وأوجب طاعته كما أوجب طاعة نفسه وهو مقام الاتحاد المعتبر في الحمل وهو اتحاد فعلي لا حقيقي ذاتي ، كررت العبارات ورددتها لأجل التفهيم لصعوبة مسلك هذه المسألة ودقة مأخذها فافهم راشدا واشرب صافيا فإنه باب من العلم ينفتح منه ألف باب وإلى الله المرجع والمآب .

وأما الحمل الوصفي فهو أن يكون مناط الحمل المغايرة

(١) البحار ٧٩ / ٣٣٠

في الذات والاتحاد في الصفة كما إذا كان اثنان مختلفان في الذات متحدين في صفة من الصفات أو جهة من الجهات فحينئذ يصح إسناد أحدهما إلى الآخر بحمله عليه ، كما إذا كان عالم وأنت تعتقده كمال الاعتقاد وجاء عالم آخر مثله وأراد أن ينبهك على أن كلما عند فلان هو عندي على حد الكمال يقول لك أنا فلان يعني في هذه الصفة أي صفة العلم ومتحد معه لا فرق بيني وبينه فيها ، وهذا الحمل كثير الدوران وواسع الجريان خصوصا في مقام إلقاء الحجة وإيضاح المحجة ليكون أبلغ في الإعذار والإنذار.

فإذا عرفت هذه المقدمة الشافعة الشريفة الجامعة لأطوار الحمل ومقاماته في جميع القضايا الحملية ، فاعلم أنه لا شك ولا ريب أن أمير المؤمنين عليا وأولاده الطيبين الطاهرين عليهم السلام لا يساويهم عين الأنبياء ولا مادتهم حتى يظهروا بتلك الصورة ، ولا أن لهم ظهور كلي في العالم الجسمي حتى يظهروا بكل صورة وطور فلا يتعينون عليهم السلام في حد خاص ، بل ولا يظهرون مرة بصورة موسى ويسمون موسى ومرة

بصورة عيسى فيسمون عيسى وهكذا سائر الأنبياء حتى يكون اسمه تارة عليا وتارة موسى وتارة عيسى وتارة إبراهيم وهكذا سائر الأنبياء لتكون هذه الأسامي لشخص واحد متصور بصور متكثرة في أطوار متعددة والمادة في الجميع واحد لا يختلف وتكون نسبته إلى الأنبياء كالماء والثلج والثوب الواحد الذي يتلون بألوان مختلفة كالاحمرار والاصفرار كما قال الشاعر:

أنا كالثوب إن تلونت يوما

باحمرار وتارة باصفرار

وهذا قول باطل وخيال فاسد ومذهب كاسد لا يجوز اعتقاده ولا يصح التأويل عليه ، إذ قد ثبت بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن الله سبحانه وتعالى خلق محمدا صلى الله عليه وآله من طينة مكنونة مخزونة ولم يجعل في مثل الذي خلقوا منه نصيبا لأحد كما في الكافي ***عَنْ مُحَمَّدِ بن مَرْوَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ ، طينة مَخْزُونَة مَكْنُونَة مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَأَسْكَنَ ذلك النُّورَ فِيهِ فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقاً***

وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا الأنبياء ولذلك صرنا نحن وهم الناس وصار سائر الناس همج للنار وإلى النار[1] . وفيه تصريح على أن طينة الأنبياء مخلوقة من طينة هي أسفل من طينتهم ، وكذلك الروايات الواردة في خلق أنوارهم عليهم السلام وأن الأنبياء عليهم السلام خلقوا من قطرات قطرة من نور محمد صلى الله عليه وآله أو من عرقه ومدخول (من) في مقام الصنع والإيجاد هو المادة ، فإذاً مادة الأنبياء أي مادة طينتهم أسفل من طينة الأئمة عليهم السلام وهي تلك القطرات المقطرة من ذلك النور العظيم والعرق الحاصل منه والشعاع اللامع عنه ، وبين المادتين بون بعيد وقد دلت الروايات الصحيحة والعقول المستنيرة بنور الشريعة على أن الأنبياء عليهم السلام هم شيعة علي عليه السلام وأمة محمد صلى الله عليه

---

(١) الكافي ١ / ٣٨٩

وآله كما ورد في تفسير قوله تعالى (***وإن من شيعته لإبراهيم***)[(١)] ، فكيف يعقل أن تكون الرعية عين الراعي والأمة عين النبي فيكون هو إماما في صورة ورعية في صورة أخرى ، وهذا لا يجوز في الحكمة وهو مقالة القائلين بوحدة الوجود إلا أنهم أثبتوا في الله وهؤلاء في الأئمة مع رعاياهم ، ولو أردنا أن نبسط القول في هذا المقام ونبين الحكمة في عدم اتحاد الأنبياء معهم في الذات والحقيقة لطال بنا الكلام وليس لي الآن إقبال ذلك مع استلزام كشف ما يأبى الله تعالى إلا ستره وقد قال مولانا الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة المشهورة (***فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع***)[(٢)] انظر في هذا الكلام بعد ملاحظة قول أمير المؤمنين عليه السلام (***إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها***)[(٣)] فتفوز بالنصيب الأعلى من الرقيب والمعلى ، إذ لو كانوا من حقيقة واحدة لما امتنع عليهم طمع إدراكهم فافهم .

---

(١) الصافات ٨٣ (٢) الزيارة الجامعة الكبيرة (٣) البحار ٤ / ٢٥٤

وهذا كله قد قام الإجماع من المسلمين كافة على إثبات تعددهم وأنهم ليسوا شخصا واحدا قد ظهر بصور متعددة في الذات والحقيقة ، ولا معدل عن قبول هذا الإجماع لأن الباطن إذا وافق الظاهر فهو حق وإلا فهو باطل ، وقال النبي صلى الله عليه وآله (***لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة***) فتأمل جيدا .

وبالجملة فإن محمدا وآله صلى الله عليه وعليهم ظهروا في هذه الدنيا بصور وهيئات وهياكل تخصهم وتختص بهم وهم متفردون بها على طبق ما في العالم الأعلى لا يشابههم شبيه ولا يدانيهم نظير ولا اتصل إليهم حقيقة إشارة المشير وهم البئر المعطلة والقصر المشيد ، ولذا كانت حقائق أخبارهم ودقائق آثارهم لا يعرفها على الحقيقة سواهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ولا عبد صالح شرح صدره فهو على نور من ربه وإنما هي لهم خاصة ليس لأحد فيها نصيب كما قالوا عليهم السلام (إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ،

قيل : فمن يحتمله ، قال عليه السلام : نحن) أما قوله عليه السلام : من شئنا[1] أو مدينة حصينة[2] فهو إشارة إلى مراتب أخر غير ما عندهم من سر الحقيقة وكمال اللطيفة فافهم .

فإذا كان الأمر كذلك فلا يصح لك أن تحمل قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (***أنا آدم أنا نوح أنا ابراهيم أنا موسى أنا عيسى***) على ما هو المعروف المتبادر من الحمل من الأقسام الستة الأولى التي ذكرناها لاشتراط اتحاد المادة والحقيقة في الجهة الجامعة المشتركة لما ذكرنا من استحالته في حقهم عليهم السلام ، فأقرب الوجوه إلى الأفهام ومدارك العقول والأحلام هو الحمل بالمعنى الأخير أي الحمل الوصفي أي أنا جامع لما جمع في الأنبياء من الكمال والعلم والنور والعصمة

---

(١) عن إسماعيل بن مهزيار عن عثمان بن جبلة عن أبي الصامت قال أبو عبد الله غ إن حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملك مقرب و لا نبي مرسل و لا مؤمن ممتحن لان ، قلت فمن يحتمله جعلت فداك قال من شئنا يا أبا الصامت قال أبو الصامت فظننت أن لله عبادا هم أفضل من هؤلاء الثلاثة .

(٢) عن شعيب الحداد قال سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما يقول إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للأيمان أو مدينة حصينة قال عمرو فقلت لشعيب يا أبا الحسن وأي شيء المدينة الحصينة قال فقال سألت الصادق عليه السلام عنها فقال لي القلب المجتمع .

والتسديد والعمود من النور ورعاية الخلق ووجوب طاعتهم وأمثالها فكل كمال عندهم عندي فأنا هم في هذه الكمالات والأحوال ، وكذلك ما ظهرت به أنا من العلم والعصمة فهو في الأنبياء صلوات الله عليهم فهم أنا في هذه الصفات الظاهرة لا مطلقا ، ويؤيد هذا الحمل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله على ما رواه الفريقان ما معناه (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في عمله وإلى إبراهيم في خلته وإلى أيوب في صبره .. (وهكذا يعد الأنبياء عليهم السلام بالصفة الخاصة بهم) ثم قال صلى الله عليه وآله : فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام)[1] فإذاً صح له عليه السلام أن يقول (أنا آدم أنا نوح) أي أنا آدم في علمه حيث أن الله سبحانه علمه الأسماء كلها فما عنده عندي وهكذا

---

(١)عن أبي ذر الغفاري قال بينما ذات يوم من الأيام بين يدي رسول الله ص إذ قام وركع و سجد شكرا لله تعالى ثم قال يا جندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه و إلى نوح في فهمه و إلى إبراهيم في خلته و إلى موسى في مناجاته و إلى عيسى في سياحته و إلى أيوب في صبره و بلائه فلينظر إلى هذا الرجل المقابل الذي هو كالشمس و القمر الساري و الكوكب الدري أشجع الناس قلبا وأسخى الناس كفا فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فالتفت الناس ينظرون من هذا المقبل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه الصلاة و السلام .

غيره ، فالاتحاد في جهة الحمل إنما هو في الصفة لا الحقيقة وهذا المعنى هو الظاهر من قول الحجة عليه السلام وعجل الله فرجه (*ألا من أراد أن ينظر إلى آدم فها أنا ذا آدم ، ومن أراد أن ينظر إلى نوح فها أنا ذا نوح ..*) الحديث ، يعني من أراد أن ينظر إلى هؤلاء في علومهم وكمالاتهم وخفايا أسرارهم وطوايا أطوارهم فها أنا ذا هم في تلك الصفات فلينظر إلي ، ولذا قال عليه السلام في آخره (*فإني أنبئ بما أنبئوا وأخبر بما أخبروا*) وهو ظاهر إنشاء الله تعالى .

ويبقى الخفاء في الجملة في ظهور هذا المعنى من قول أمير المؤمنين عليه السلام على ما نقلنا عنه في حديث معرفته عليه السلام بالنورانية من قوله عليه السلام (*أنا آدم وأنا نوح وأنا إبراهيم وأنا موسى وأنا عيسى وأنا محمد صلى الله عليه وآله أنتقل في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ولو ظهرت للناس في صورة واحدة لهلك في الناس وقالوا هو لا يزول ولا يتغير*) الحديث ، وأما قوله عليه السلام (*أنا آدم*) وإلى قوله عليه السلام (*وأنا محمد صلى الله عليه وآله*) فظاهر على ما قلنا

من الاتحاد في الصفة، وأما قوله عليه السلام (***أنتقل في الصور كيف أشاء***) فمعناه أن الله سبحانه وتعالى خلقه قبل الخلق وقبل العرش والكرسي والملائكة والجن والإنس وكل شيء حادث كما دلت عليه الروايات المتكثرة المستفيضة بل المتواترة فكان يظهر عليه السلام في كل وقت أراد لمصلحة من المصالح حسب ما أراد الله بصورة من الصور، كما ظهر عليه السلام لموسى وهارون وفرعون لما أراد أن يقتلهما فرعون ظهر عليه السلام لموسى وهارون وفرعون بصورة فارس عليه لباس الذهب وسرج فرسه من ذهب وبيده رمح من ذهب وأشار عليه السلام إلى فرعون إن هممت بقتلهما لأقتلنك قبل أن تأمر بهما، وظهر عليه السلام وقت نوح ومنع ذلك الجني أن يغرق سفينة نوح عليه السلام، وظهر لجبرئيل عليه السلام وعلمه ربه واسمه واسم خالقه، وظهر لسلمان الفارسي وخلصه من السبع، وهكذا في أطوار ظهوراته عليه السلام كما هو المعلوم المذكور في الأخبار وذكر علماؤنا الأخيار، ويدل على ما ذكرنا ما ذكره المجلسي رضوان الله عليه في كتاب الغيبة والرجعة من كتبه الفارسية والعربية عنه عليه

السلام (***أنا مع الأنبياء سرا ومع محمد صلى الله عليه وآله جهرا***) ، قوله عليه السلام (***نصرت جميع الأنبياء ولم ينصرني أحد منهم ، فلا بد أن يظهروا في الرجعة وينصروني***) وكانت نصرته عليه السلام للأنبياء بظهوره لهم في صورة من الصور ولم يكن يظهر بصورة واحدة تعرفه الناس في كل عصر حتى لا يهلك فيه الناس ولا يقولوا أنه لم يزال ولا يزال ، وليس في العبارة تصريح على أنه عليه السلام ينتقل في صور الأنبياء حتى يكون هم وإلا لما صح قوله عليه السلام (***كنت مع جميع الأنبياء سرا ومع محمد صلى الله عليه وآله جهرا***) وقوله عليه السلام (***نصرت جميع الأنبياء ولا بد أن ينصروني***) ، وهل يعقل أن الشيء ينصر نفسه أي ينتصر من نفسه وهو واضح معلوم ، وقد روى الفريقان وممن روى من العامة محمد بن جرير الطبري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (***لما أسري بي إلى السماء وصلت إلى المسجد الأقصى وصليت بالأنبياء ، فأتاني جبرئيل عليه السلام وقال : يا محمد صلى الله عليه وآله اسألهم بماذا بعثوا ، فسألتهم فقالوا : بعثنا بشهادة ألا إله إلا***

الله وأن محمدا رسول الله وأن عليا أمير المؤمنين ولي الله) ذكره في تفسير قوله تعالى (**وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رسلِنا**)[1] ، فإذا كان كذلك فكيف يعقل أن يكون المطاع هو المطيع والأصل هو الفرع إلا على مذهب الصوفية القائلين بأن الآمر والمأمور واحد وهو الكفر بالله العظيم لا يجوز الإصغاء إليه والاعتناء به كما لا يخفى على من له أدنى فطنة.

وعلى ما ذكرنا اتجه كلام أمير المؤمنين عليه السلام (**أنا المتكلم على لسان عيسى بن مريم**) لأن هذا أيضا من نصرته لعيسى على نبينا وآله وعليه السلام تكلم على لسانه وهو في المهد صبيا وقال عنه (**إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا ..**)[2] الآية، كما يتكلم عن المؤمن في القبر في جواب الملكين، وكما نتكلم نحن عن لسان الله تعالى إذا قرأنا القرآن وقلنا (**إنني أنا الله لا إِلهَ إلا أنا فَاعبدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي إِن السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكاد أُخْفِيها لِتُجْزَى اكل نَفْسٍ بِما تَسْعى)**[3] ، وليس في هذه المذكورات إشكال أبدا لا من

(١) الزخرف ٤٥ (٢) مريم ٣٠ (٣) طه ١٤ - ١٥

جهة العقل ولا من جهة الشرع ولا من جهة الإجماع لكافة المسلمين ولا الفرقة المحقة ولا غير ذلك ، وكيف يمكن إمكان كونهم قبل الخلق وقد تواتر الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) فلا ضير أن يقدره الله تعالى على إظهار هذه الأمور فإن قدرة الله سبحانه لا تتناهى ورحمته ولطفه وكرمه بالنسبة إلى أوليائه عظيمة ، ولذا قال عليه السلام ***(ومن أنكر فضلنا فقد أنكر قدرة الله في أوليائه)*** فافهم راشدا موفقا .

ومن ثبتت عنده الروايات المتواترة الدالة على أن الخلق كلهم خصوصا الأنبياء من شعاع أنوارهم وأشعة إشراقات ذواتهم وأسرارهم كما نظم بعض العلماء في كتابه أنوار الحكمة :

ستعرف أن العقل والنقل واحد
وذلك معلوم بحكم الضرورة
ببرهان أن العقل نور نبينا
وذلك كلي بأصل الحقيقة
وأن عقول الأنبياء وحزبهم
أشياعهم من شمسه كالأشعة

فمن ثبت عنده هذا الحكم ويقول بمدلول هذه الروايات فيجعل هذه الحمليات كلها من الحمل الإشراقي والحمل الفعلي على ما بينا وفصلنا إلا أن الكلام في الإثبات فافهم وتيقن وتبصر فإن الكلام لا يحسن بغير ما ذكرنا فإن الشاعر يقول :

أخاف عليك من غيري ومني
ومنك ومن زمانك والمكان
فلو أني جعلتك في عيوني
إلى يوم القيامة ما كفاني

وعلى هذا فكلامكم أطال الله بقاكم من أنه يظهر من الأخبار أن أمير المؤمنين عليه السلام هو باطن الأنبياء عليهم السلام وأنهم هو على الحقيقة فيه اضطراب واغتشاش فإنه بظاهره يدل على أن ظهوره عليه السلام بصورة الأنبياء ظهور المادة الواحدة في الصور الكثيرة والشخص الواحد بالهيئات المختلفة وليس كذلك على ما حققناه وإنما هو اتحاد في الصفة أو في الإشراق والتجلي الفعلي إذ صحت تلك الأخبار ودل على مضمونها صافي الاعتبار فصح حينئذ الباطن لا على ما هو المعروف عند

أهل الظاهر، فلنقبض العنان فللحيطان آذان ***(وَتَعِيَهَا أذن واعِيَةٌ)***[1] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قال سلمه الله: وعلى تقديره فهل النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لا تعدد فيهم على الحقيقة وإنما هم أمر واحد كما تشير إليه بعض الدلائل، فيكون الكلام الذي قررنا في جميعهم واحد لا يختلف وأنه مقصور على أحدهم.

أقول: الدلائل كلها منطقية ومتفقة على أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة سلام الله عليهم أجمعين من طينة واحدة ومن حقيقة مؤتلفة غير مختلفة وقد روى الفرقان في ذلك أحاديث متكثرة وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ***(أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد)*** وفي حديث معرفته بالنورانية ***(أنا محمد ومحمد أنا)*** والحديث المشهور المعروف ***(حسين مني وأنا من حسين)*** وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله (كنت أنا وعلي نورا واحدا ننتقل من الأصلاب إلى

(١) الحاقة ١٢

الأرحام حتى انتقلنا إلى صلب عبد المطلب فقيل لنصف كن محمدا وللنصف الآخر كن عليا) وقوله تعالى (*وأنفُسَنا وَأنفسَكمْ*)[1] أقوى دليل وأوضح شاهد على ما ذكرناه ، وليس المراد أنهم واحد في جميع الوجوه بل المراد اتحادهم واجتماعهم في حقيقة نور العظمة الذي خلقوا منه وتشعبوا عنه وإن اختلف كل منهم بالحدود والمشخصات كاختلاف زيد وعمرو مثلا في الحدود الشخصية واجتماعهما في الحقيقة النوعية ، فهم حقيقة واحدة ليس بينهم اختلاف ولا عليّة ومعلولية ولا أثرية ولا مؤثرية ، وإنما اختلافهم في الأمور العرضية والحدود الخارجة عن تلك الحقيقة وإن كانت ذاتية لكل منهم إلا أن الفرق أن حقيقة الإنسان مثلا شعبها وأفرادها لا نهاية لها بخلاف هذه الحقيقة المقدسة فإنها لا تظهر ولا تتشعب إلا بأربعة عشر شعبة لا تزيد عليها ولا تنقص عنها على ما بينا في رسالة النبوة الخاصة وغيرها من الرسائل ، فعلى هذا يكون الجميع من حقيقة واحدة بل حقيقة واحدة ، فحينئذ

(١) آل عمران ٦١

قول النبي صلى الله عليه وآله (***حسين مني وأنا من حسين***) وقول أمير المؤمنين (***أنا محمد ومحمد أنا***) وقول الحجة المنتظر عجل الله فرجه في الحديث المتقدم (***ألا من أراد أن ينظر إلى محمد صلى الله عليه وآله فها أنا ذا محمد ، ومن أراد أن ينظر إلى علي عليه السلام فها أنا ذا علي***) وهكذا يعد الأئمة واحدا بعد واحد من باب الحمل النوعي أي الاتحاد في الحقيقة الجامعة الذاتية والاختلاف بالحدود والمشخصات ، فيكون من القسم الثاني من هذا الحمل ، أي حمل بعض الأفراد على الآخر بالجهة الجامعة النوعية أي في المادة الثانية بالنوع ، وهذا الحمل يصح طردا وعكسا وليس من باب حمل النوع على الفرد كما قدمناه.

فإذا كان كذلك فيكون الكلام الذي قررنا في جميعهم واحدا لا يختلف ولذا قال الحجة المنتظر عجل الله فرجه ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في مادة الأنبياء عليهم السلام حرفا بحرف فاتصل الآخر بالأول والأول بالآخر لبيان حكم الاتحاد وحصول المراد والله سبحانه الموفق للسداد .

قال سلمه الله: ثم إنه على تقديره أيضا، ما وجه استحباب الصلاة على الأنبياء عليهم السلام مع أن الصلاة على محمد وآله صلى الله عليهم صلاة عليهم فلا يحتاج إلى إلحاق ذلك بالصلاة على غيرهم من الأنبياء عليهم السلام كما يوجد ذلك في أدعيتهم عليهم السلام.

أقول: جوابه قد ظهر مما بينا وفصلنا من أن حقيقة الأنبياء ليست متحدة بحقيقتهم وإنما هي إشراق من إشراقات أنوارهم وتجلي من تجليات عكوس أسرارهم عليهم السلام فلا يكفي الصلاة على أحدهم عن الصلاة على الآخر لما بينهم من المباينة الحقيقية والمغايرة التامة في المادة والصورة فلا بد من الصلاة عليهم بعد الصلاة على محمد وآله صلى الله عليهم جريا على مقتضى حكمة التبعية كما هو الحكم في الكينونة الأولية، وكذا الصلاة على أحد الأئمة عليهم السلام لا يكفي عن الصلاة على الآخر لما بينهم من المغايرة في الحدود المشخصة وإن كانت جهة المغايرة فيهم ضعيفة، ولذا ما كفتنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله عن الصلاة

على آله وإن كانوا من حقيقة واحدة لما بينا سابقا من أن الأربعة عشر عليهم السلام من حقيقة واحدة لا تمايز بينهم إلا في الحدود الشخصية فافهم .

قال سلمه الله : ثم أنه يلزم على ذلك أن يكونوا سلام الله عليهم منذ خلقوا بهذه الكيفية التي ظهروا لنا بها من اشتمالهم على سائر الصفات المختصة بهم وإن أنكره بعض علمائنا المتقدمين عفا الله عنهم .

أقول : إن أراد سلمه الله بالكيفية التي ظهروا لنا بها لا يعم الهيئات والصور الظاهرة لنا بها فما قدمنا من قول أمير المؤمنين عليه السلام (***إني أتقلب في الصور كيف شاء الله***) ينفيه لأنه عليه السلام إنما يظهر بالصور على حسب المصالح المقتضية لها حسب ما يريد الله سبحانه من إمضاء مشيته بذلك الظهور كما ورد أنه عليه السلام ظهر لفرعون على هيئة فارس شجاع عليه ثياب الذهب .

وإن أراد بالكيفية الصفات والكمالات والأحوال المختصة بهم فهم عليهم السلام كذلك منذ خلقهم الله ، فإن الله سبحانه لا يجعل حجته التامة البالغة ناقصة

ولا يجعل الفرع أصلا بعدما كان فرعا في ذاته لا أصلا ولا يجعل الأصل فرعا كذلك وإلا لأخل الحكمة وأوجب الطفرة وما تمت الحجة وهو سبحانه أجل من ذلك وأعلى وهو قوله عليه السلام على ما في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام (السلام على الأصل القديم والفرع الكريم) فهو أصل قديم أي متقدم على المخلوقات وعامة الموجودات كما دلت عليه أخبار خلق أنوارهم الواردة بالطرق المتكثرة البالغة حد الاستفاضة بل التواتر، وهو فرع من فروع الشجرة الأحمدية وشعبة من شعب الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وكل ما سواهم فروع لها، فإذاً فما يختص بهم مما يليق بمقام قربهم إلى سيدهم وخالقهم حسب مقتضى عبوديتهم بسر ذواتهم وكينوناتهم الظاهرة من أعمالهم من الخضوع والخشوع والخشية والهيبة ثابت ومستمر لهم، فأتوا كل الخلق من مبدأ الإيجاد في عالم الذر بجميع الصفات الكمالية وهي لا تزال ثابتة لهم غير مستنزعة عنهم إلا أنها تختلف بحسب الظهور والخفاء والإسرار والإعلان حسب ما أمرهم الله سبحانه وتعالى وكتب في صحائفهم

الخاصة بهم من كيفية طرق معاشرتهم ومعاملتهم مع الخلق فهم سلام الله عليهم لا يزالون على تلك الطريقة ولا يتعدونها أبدا وشرح هذه المسألة مما يطول به الكلام ولا يناسب المقام لأدائه إلى ذكر ما لا ينبغي ذكره ولاستلزامه كشف ما أمر الله بستره والله الموفق للصواب.

قال سلمه الله: فالمرجو من السيد المهذب أن يشرح لنا جميع ما أشرنا إليه ولا يستعمل فيه الرموز الغير المفهمة فربما يصعب على عبدكم ذلك لخلو يده من تصانيف أهل الفن وعدم ضبط مصطلحاتهم لمانع تمنع والله ولي التوفيق.

أقول: قد ذكرنا ما يسعه المقال في شرح هذه الأحوال في هذه الأزمان والأحيان وبقي ما لا يذكر في المقال ويجب أن يخزن في البال جريا على طريقة محمد وآله المفضال عليهم سلام الله بالغدو والآصال، وفيما ذكرنا كفاية لكل ناظر إذا تفهم ما نقول والله ولي التوفيق، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.